الثلاثاء قبل الأخير

عزت الحجار – مصر

طريق ضيقة وأضواء خافتة وبيت كائن في قلب الظلام ،على حافة كتلة سكنية تحيطها المخاوف ..

بدا كل شيء غامضًا للوهلة الأولى ، لا أحد يملك تفسيرًا لما يجري ، البواعث مشوهة ومنقوصة ، صمته كان الأكثر غرابةً ، فمن غير المعقول ألا يدرك مغبة فعلته ، سنوات من عمره ستكون الأجمل لو تم اقتطاعها منه ..

كان فؤاد الأقرب لمسرح الأحداث ، الأوفر ثقة ، الأكثر حرية بعدما سمحت له فريدة أن يتجول بلا قيود في كافة تفاصيل حياتها ، لم يكن للمال قيمة لديها ، تعتبره فقط وسيلة للتكشف ، طريق مختزلة – بما له من تأثير – لاكتشاف مَنْ حولها

الغريب أنه لم يكن مُفرطًا في شيء ، كان معتدلاً ومُقْتَضَبًا دائمًا ، كلامه ، ابتساماته ، حتى مشاعره كانت غامضة و مُقْتَضَبة أيضًا ، وعندما كانت تتعمد اقحام لفظة ذات مغزى في حديثهما عن العمل ، وعندما تتملكها شهيتها ؛ فتُفضي إليه بما يكشف عن رغبتها ، كان محافظًا على هدوءه تمامًا رغم فداحة العرض، حتى أنها تشككت في عطاءه كرجل ..

ثلاثة أشهر كانت كفيلة لتحريك ما أعتقدت فريدة أنها نسيته ، فمن بعد رحيل زوجها – الفاحش الثراء – إثر أزمة قلبية مفاجئة وهي منغلقة على نفسها، تكتفي بفستانها الأسود ، الذي بالرغم من دقة تصميمه وأناقته ، لم يسلم من تأثر جسدها بما حدث ؛ فأضحى حزينًا صامتًا ..

تغير كل شيء بقدوم فؤاد ، تهلل الوجه، وصار القوام أكثر ليونة وجاذبية ، ورغبة في الحياة بدت تعلن عن نفسها كلما اقترب ، لم تكن تتوقع أن تميل إليه بهذه السرعة ، وهو الشاب الذي لم تبد عليه أَمَارَاتُ الشباب الشائعة ، كالتأنّق والتملُّق والثقة الزائدة ، والتي بدت على أكثر المتقدمين منهم لشغل الوظيفة .. قد يكون اختيارها له وتعلقها به ؛ أنه كان يُشبهها ، قبل أن تصل بها الأمور لما آلت إليه ..

يعودا معًا إلى المنزل الكبير ، خاصة على امرأة وحيدة جعلت من شابٍ في سن الخامسة والعشرون سكرتيرًا خاصًا لها وأمينًا على أملاكها ..

يتعجب من فعلتها ، كيف تتنازل عن المحضر بهذه البساطة وهو الذي لم ينبس بحرفٍ في التحقيقات التي تمت والتي كانت في أغلبها تحوم حوله !!

يواصل عمله بتلقائية اليوم الأول لمجيئه ..

تسترجع أحداث الفترة الماضية ؛ علها تضع يدها على شيء ، تبدو الأمور منطقية ..

تشب واقفة فجأة، تصرخ بصوت حرصت على ألا يخرج من غرفتها : الثلاثاء!

لماذا الثلاثاء بالذات ؟ ما سر إصراره على أن يكون الثلاثاء هو يوم إراحته ؟

اتخذت قرارًا حاسمًا ، فمراقبة مَنْ على شاكلته من العفوية يُعد أمرًا سهلاً .. سلك طريقه المعتادة ، نزل من السيارة الأجرة التي هي في الأصل سيارة ربع نقل ، دلف إلى ممر ضيق أضواءه خافتة ، اختفى تمامًا كأن الظلام قد ابتلعه قبل أن يعانقه شبح كأنه امرأة . عادت مكللة بالخيبة ، لم يكن في ظنها أن سيارتها الضخمة ستكون عائقًا في ملاحقته وكشف ستره ..

يعاود عمله في اليوم التالي، حرصت هي الأخرى أن تظهر بمظهر غير الآبِه لما يحدث، تُحدثه باهتمام كعادتها، تباشر اشرافها مُصغية لكشف الحسابات الذي بيديه، ولم تنس أن تغمره ببسماتها الرائقة الحانية التي تحمل المعاني ذاتها التي تتعمد منحها إياه ..

يأتي الثلاثاء قبل الأخير من الشهر ، تذكرت أن الواقعة حدثت أيضًا في الثلاثاء قبل الأخير من الشهر الماضي، تكتشف في اليوم التالي اختفاء جزءًا من المال، كان الوحيد الذي يعلم أنها تحتفظ ببعضٍ من أموالها في غرفتها ..

– للمرة الثانية يفعلها ، وفي وقتٍ قصير ، يا لجرأته !!

تتمتم ، في حين كانت تُشعل بحده سيجارتها الأجنبية الصنع، تقرر الاحتفاظ بهدوءها هذه المرة .. يتعجب من عدم اكتراثها للأمر؛ فيزداد قلقًا وحيرة .. تنقضي الأيام بسرعة ، تصحو فتجده قد عاود فعلته وقد أتى على كل الأموال هذه المرة ، كان في عجلة من أمره على غير عادته ، تلاحقة ، في حين كانت تهاتف رئيس المباحث الذي كان يتابعها ويقرر معها خطة الإمساك به ..

يتبعانه بهدوء ويقظة ، يدلفان في الطريق ذاتها .. اصرارهما على تتبعه كسر حدة الظلام ، كان بمفرده، بدون شبح السيدة التي رافقته المرة السابقة ..

طريق ضيقة وأضواء خافتة وبيت كائن في قلب الظلام على حافة كتلة سكنية تحيطها المخاوف.. نظرة تم اسقاطها بعناية عبر نافذة وحيدة متهالكة ، إلى داخل البيت المكون من غرفة واحدة ومدخل صغير أشبه بالممر ..

بكاء شديد يزيد الليلة غموضًا ، رجل واقف في منتصف الحجرة يلبس نظارة سميكة ، وممسكًا بيديه شيء أشبه بمشرط الأطباء، وشاب مجثي فوق جسد هامد لامرأة ، كأنما نفض عبء الحياة عن كاهله..

تسللتْ إلى الداخل من الباب شبه المغلق قبل أن يسبقها رجال الشرطة الذين تسمروا في أماكنهم في مشهد مهيب يليق بتلك الليلة المحاطة بالخوف من أول وهلة ، يرفع الشاب رأسه بعدما بللت عَبراته المتدفقة صمت تللك الليلة ، والذي بدا في انهيار تام فَقَدَ على إثره الشعور بمن حوله ..

زال الغموض وتكشفت الحقائق بعدما ذهبت ضُحى ، فتاته التي ما حلم بأكثر منها ، والتي جمعتهما ظروف متشابهة ..

كنبتتين غضتين نشاءا معًا ، واجها حياتيهما الجافة إلا من قطرات ودٍ علقت بقلبيهما الصغير ، والذي لم يدرك وقتها معنى الحب ، تناوبتهما السنوات حتى شبا معًا في تلك الكتلة السكنية المغفول عنها ، والتي تزينت بهما وتلألأت بحبيهما الذي تحاكى به الرائح والغاد ، والذي من أجله قرر فؤاد أن يترك كل شيء ليبقى بجوار ضُحى التي نشأت في دارٍ للأيتام بعدما ضلت طريق والديها .. كان عليه أن يحقق ما قطعه على نفسه ، السعادة التي عاهدها بها منذ عرفها ، وتعويضها عما عانته من فقد وحرمان ..

كان عليه أن يفعل أي شيء لمواجهة المرض السمج الذي تسلل إلى قلبها واتخذه مسكنًا له ، كأنما خلقت لتتجرع الألم !

الطبيب الذي أتي به تحت التهديد ليجري لها جراحة خطيرة في القلب، والمال الذي سرقه من أجلها ، واعتداءه على مدير المستشفى الاستشاري الذي رفض دخولها للمستشفى لعدم جاهزيته لتكاليف الجراحة ، والشرطة التي تطارده، وتضحيات فريدة من أجله ..

ضُحى

عذوبة النهار ونسائم الليل وبُغية الروح ، المسئولية الأخلاقية التي قررها على نفسه ؛ أنسته ما قد يلاقيه من مصير ..

تكشفت الحقائق ولم يعد صمت فؤاد مُحيرًا ومُستفزًا ..

تبينت فريدة أنه مازل بالحياة مآسٍ تفوق بكثير ما ظنت أنه مأساة قد لحقت بها ، شعرت بذلك حتى قبل أن يُدلى الطبيب - المحتجز - بأقواله أمام النيابة .. ولعل هذا إضافة لما تضمره لفؤاد من حب ؛ دفعها لأن تنهي كل شيء بشكلٍ ودي مع كافة الأطراف ..

فشلت فريدة في أن تصحبه معها ليعاودا الحياة معًا ..

اكتفت بأن تُطل عليه هناك ، حيث ترقد ضُحى ، عبر النافذة المتهالكة للبيت الكائن بقلب الظلام على حافة الكتلة السكنية التي تحيطها المخاوف .